النتاج الجديد

أناهيـــد

قصة طويلة بقلم عبد الله نيـــازي

مطبعة دار المعرفة بغداد - ٩٦ ص

حين وصلتني هذه القصة هدية من المؤلف ، اشكره عليها ، بادرت الى قراءتها آملاً ان يكون كاتبها قد سجلَ فيهـا تقدماً على مؤلفاته السابقة التي عرضت لها باقتضاب في بحث سابق لي عن « القصة العراقية الحديثة »* ولكن خاب ظني إذ فرغت من تلاوتها ، وقلت في نفسي ان « اناهيـد » لا تستحق اكثر من الاشارة التي استحقتها كتب المؤلف السابقة « نهـاية حب » و « همس الايام » و « سجن طائر » و « بقايا ضباب » .

على اني تذكرت قبل ان اطوي الكتاب اني لم اقرأ المقدمة وكنت قد آثرت ارجاءها حتى انتهي من القصة ، فعدت اليها فاذا كاتبها الاستاذ احمد كمال زكي يبدأها بقوله عن المؤلف : « هذا قاصّ محدث لا اقدمه ولا ازكيه ولا ادعو له وإنمـــا اذكّر به قومـاً ارادوا ان يعرضوا للقصة العراقيـة فأخطأهم التوفيق ... »

وكان طبيعيـاً ان يزداد اهتمامي بالأمر ، فالأرجح ان الكاتب المصري يقصدني في كلمته ، ثم اني قد قرأت للاستاذ احمد كمال زكي في الاعداد الاخيرة من « الثقافة » المصرية التي آلمنا احتجابهـــا مقالات طيبة في الادب والفن اجمالا تنمّ عن ثقافة رفيعة وتذوق مرهف . ومضيت في قراءة المقدمة باهتمام ، فكان ان أصبتُ منها بخيبة ليست دون خيبتي من قراءة القصة .

والحق ان الاستاذ احمد كمال زكي قد أصدر من الاحكام على هذا الكتاب ما يحتاج الى مناقشة وتقويم ، ومـا لا يصحّ لناقد يهتم بالأدب العربي الحديث عامة ، وبالعراقي خاصة ، ان يسكت عنه ، حرصاً على صحة التأريخ الادبي . وهكذا اراني مضطراً الى تحليل قصة « اناهيد » في سبيـــل منـاقشة آراء صاحب المقدّمة .

★

حين يدخل نهاد — بطل القصة — دار عمته ذلك اليوم يلاحظ ان الحيرة والقلق يرتسمان على وجوه الجميع ، العمة وزوجها وابنتها اناهيد ، وانهم يخفون عنه شيئا ما . وما تلبث الفتاة ان تخرج « في امر يخصهم » كما قالت امها ، فلا يجد هو الا ان يهم بالخروج ، ولكن عمته تستبقيه ريثما تعـــود أناهيد . وحين عادت مكث نهاد قليلا ثم نهض . « وحين ودعهم وانصرف أحس في قرارة نفسه انه يودعهم الى الابد . . او انه قد دفن شيئا كان ينتظر موته بين لحظة واخرى » ومضى الى دار خالته ففهم هناك سر الحيرة والقلق : ذلك ان اناهيد قد خطبت ، وانها قد زارتهم مساء ذلـــك اليوم واوصتهم هي نفسها بكتمان امر الخطبة . واخذت الخالة تؤاسي « نهاد » وتؤكد له ان اناهيد لا تصلح له زوجة ، ولكن الضربة كانت اقوى من ان يحتملها ، فخرج « وقد فاضت الدموع من عينيه وتركهم دون ان يلقي عليهم كلمة وداع .. »

وتاه صاحبنا في الشوارع يجوبها معذبا متألماً « وبين الحين والحين يرفع يده ليمسح الدموع التي كانت تتقاطر وراء اجفانه . » وقد كان كل شيء يبكي معه ذهاب اماله ، « أيكون كل هذا تدبيراً من السماء ؟ بئست السماء اذا كان كل عملها هذا الضحك والسخرية من الناس ! » . وجفـــاه النوم و« الافكار تنهشه والهواجس تفترسه وسياط مجهولة تسفعه بعنف ومدية مسمومة تعمل في قلبه . » وكان يكتم ما في نفسه ولا يظهر غير كبريائه ، بينـــما كان موعد قران اناهيد يقترب . وذهب الى صديقه حازم فقال له انه يخشى ان « تخونه اعصابه فيفضحه الدمع » وزار مرة بيت عمته فرأى الخاطب ، فاذا هو قبيح حقير . وكان الخجل يبدو على اناهيد ، « يا للفتيات ! يقدمن على ارتكاب الجرائم عن طوع واختيار ثم يظهرن اسفهن وخجلهن ! »وفي يوم العرس تثور اعصاب نهاد فيقذف غريمه بقوله « قذر ! » ولكن صوته يضيع بين الزغاريد ، ويخرج يعدو كالمجنون . وعاد الى بيتـــه ليكتب في مذكراته كلاما كثيراً كان اخره قوله : « الكون في نظري سخافـــة والوجودُ مهزلة والناس ذباب يتزاحم على الجيف . »

ويجتمع نهاد يوما بزوج عمته فاذا هو يشكو الضيق والعوز وانفضاض الناس عنه ومما يقوله : « هذه هي الحياة ، او قل انهـــا هكذا في الشرق وحده ، يقبلون على الواحد منا اذا كان جيبه عامراً ! » وقد سر نهاد بان هذا الرجل الذي زوج ابنته في سبيل مصلحة مادية له يخفق في بلوغ غايتـــه ويتعذب . وكذلك اناهيد ، فقد كانت هي ايضاً تتألم ، لا سيما وان زوجها قبيح جداً ! ويذكر نهاد احاديث تبادلها معها من قبل ، ويشعر بالسعادة حين يرى « ان الذين قوضوا حياته يتألمون ويتعذبون . »

ويأتي بعد ذلك حديث لنهاد مع خادم يرثي لحاله ويتألم له انهم حرموه من حبيبته ، فيبدو امامه متكبراً لامبالياً ، ولكن تعصف بنفسه ثورات مختلفة تودي به الى جنون هادىء . وتزوره اناهيد وزوجها مرة فيزداد ألمـــه ، ويذهب يعاقر الخمرة ، وكلما ذكر حبه طفر الى عينيه الدمع .

وترزق أناهيد طفلة تسميها ناهدة ، فيأتي نهاد لزيارتها ويدور بينهما عتاب حول الوفاء ، ويبدو انه هو ايضاً قد تزوج لانَّ الزواج كان في اعتقـــاده «المخرج الوحيد لحياته القلقة» ويظهر وكأنه استسلم للاقدار بعد هذا الزواج الشقي .

اما الفصل الاخير فيحدث « بعد عشرين عاماً تقريباً » وهو يبدأ بحوار بين نهاد وابنه عادل الذي بلغ سن الشباب والذي تعود التنزه مع ناهدة ابنة اناهيد ! فيحذره والده منها ، ولكن الابن يروي له حديثا جرى بينه وبين الفتاة يشبه حديثا عن الغيوم كان جرى بينه هو ، نهاد ، وبين امها. وتنحدر من عيني الاب دمعة جديدة ، ويتنبه على نفسه فيأسف ان يجري مثل هـــذا

* راجع العددين الرابع والسابع (نيسان وتموز) من الآداب ١٩٥٣

الحديث بينه وبين ابنه بشبه لا وعي ، ويمضي الى بيت اناهيد وفي بينه ان يضع حداً لعلاقة ابنتها بابنه . وهنـــاك يستعيدان حديث الغيوم الذي كان حلمها ، فيجمعان على ان الاحلام ضرورة لا تستقيم الحياة بدونها.. ويرددان حديثها السابق بحذافيره ، فيغلبها البكاء ويكادان يتعانقان ولكن ابنـــه وابنتها يدخلان ، فلا يجد نهاد الا ان يترك الجميع ، ويمسك بعصاه ويتحامل على نفسه فيخرج .

« — الى اين . » فلم يجب . وخرج تقوده عصاه الى حيث لا يدري [...] وتلبدت السماء بالغيوم وراحت تسح مطراً غزيراً كأنها تبكي على شيء عزيز افتقدته ولا تدري ما هو .. »

★

هذا تلخيص للقصـــة احسب ان من العسير ايراد تلخيص اوفى منه لها . فعمّ تكشف هذه القصة ؟

يقول الاستاذ احمد كمال زكي متمماً العبارة التي اوردتها عن هؤلاء الذين اخطأهم التوفيق اذ عرضوا للقصة العراقية : « ولو تعمّقوا المحاولات التي يسمو بها بعض المجددين من شباب العراق لرأوا غير ما حدسوا ولشاهـــدوا صاحبنا (ويقصد مؤلف الكتاب) في الطليعة . »

وفي هذا الكلام رأيان : اولهما ان المؤلف من المجددين ، وثانيهما انه في طليعة القصصيين العراقيين . وانا ارى ان المؤلف ابعد الناس عن التجديد ، وانه في الصف الاخـير من كتّاب القصة في العراق . فأين هو التجديد في هذه القصة ؟

اما الموضوع أو الحبكة أو العقدة ، فشيء قديم مبتذل : شاب يُحال بينه وبين حبيبته لتحقيق منفعة مادية تعود على ذوي الفتاة ، فيقضي عمره غماً وألماً وحسرة ، ولا ينفع شيء في تعزيته . فأي تجديد في هـذا ؟ إنه الموضوع الأزلي الذي ابتُـذل حتى كفّ عن معالجته ايّ كاتب اوتي حظاً من الموهبة القصصية . صحيح ان هذه مشكلة ما تزال قائمة في اوضاعنا ؛ ولكن هل عالجها الكاتب على هذا الاساس ، وما هي النتيجـة التي خرج بها ؟ إن المؤلف لا يعي أية رسالة ، خلافاً لما يقول صاحب المقدمة « إنه من القلة التي تفهم رسالتها وتحسّ روحها وتتحمس لأهدافها . » ولو كان يعي رسالة ما لأدرك ان الواقعية الفنية — على حد تعبير الاستاذ احمد كمال زكي نفسه — « لاتعني التزام الصدق في وصف مسرح الحوادث » وانما تعني التحوير بما يُحمّل هذا الواقع نزوعاً ينبغي الاّ يخلو من مثالية . وقول صاحب المقدمة إن المؤلف « لم ينعزل بذاته ولم يتفرد بآلامه ، وعاش في مجتمع انفعل معه ووصلنا به عن طريق نفسه » إن هذا القول كلام جزاف لا يستند الى واقع المؤلف . فهو في قصتـه قد انعزل بذاته وتفرد بآلامه ولم ينفعل بالمجتمع الذي عاش فيـه ولم يصلنا به عن طريق نفسه . لقد كان موقف البطـل موقفاً سلبياً جامداً منذ البدء حتى النهاية ، فهو لم يحاول ولم يفكر في ان يثور على الوضع ، ولم يفعل إلا ان يتـألم ويتعذب ويسوق حياة جامدة خالية من اي معنى. لو كان المؤلف ينفعل بالمجتمع الذي يعيش فيه لأدرك ان هناك اشخاصاً يثورون على وضعهم ويحملون لواء الصراع في مجتمع لا يجدي فيه غير الصراع . أما « نهاد » فشخص انانى ذاتي سخيف التجربة النفسية ، محـدود الافق ، سطحي الاحساس ، مخنوق النزعة الانسانيـة . وإن رسالة الكتّاب العرب اليوم هي في ان يخلقوا نماذج لأبطـال يصارعون الاوضاع البالية ويحاربون التقاليد الخانقـة ويشقون للاجيال طريق التحرر . ولو كان « نهاد » هـذا شخصاً عادياً بسيطاً ، لكان مفهوماً ان يخضع للظروف والتقاليد . أما وأنه يدّعي الادب والفهم والادراك ، فان هذا لدليل عميـق على تبلّد حسّ المؤلف وعدم وعيه اية رسالة يقوم بها .

ومن اجل هذا لا يسع القارىء إلا ان يبتسم إذ يقرأ قول صاحب المقدمة إن المؤلف « يوضع في غير ما عناء الى جانب قصاصي الروس في القصة القصيرة »... « هؤلاء الذين يصطرعون مع الحياة فيصورون صراعهم ويعرضون لأحزان النـــاس وجوانب الراحة لهم [...] هؤلاء الذين ينتزعون قصصهم من البيئة ليضفوا عليها من انسانيتهم ما يكفل لها الخلود . » وهذا يدل على احد امرين : إما ان الاستاذ احمد كمال زكي لم يقرأ القصاص الروس او انه لم يقرأ كتب المؤلف ، ونرجح الامر الثاني ونضيف ان عاطفة الصداقة هي التي تملي عليه مثل هـذه الاقوال المضحكة ، وهذا ما يؤسف له في ميدان النقد الصحيح! فأين هو تصوير الصراع ، واين هي هذه الأنسانية ؟

ثم هو يمضي الى ابعد اذ يقول إن « اناهيد » : ليست عملاً يقع دائماً في ادبنا العربي » ، « وانها تعطينا الدليل على اننـــا نستطيع ان نكتب القصة الكبيرة بنجاح » وانها « ستظل في تراثنا الفني عملاً جليلاً » الخ ... اقوال كنا نربأ بمثل الاستاذ احمد كمال زكي ان يطلقها من غير ان يحقق فيها . وانا اعجب ان يكون هذا رأيه فيهـــا ، هو الذي قرأ بعض آثار نجيب محفوظ واعجب بها .

ونسأل صاحب المقدمة عمّا أعجبه في القصة فيقول « إن كاتبنا استطاع ان يحافظ فيها على « الوحدة » وحدة الشعور ، وحدة الحدث ، وحدة البيئة » وهذا مقياس عجيب للقصة ! فمتى

كانت القصة الناجحة تتوقف ، كالمسرحية ، على وحدة او وحدات ؟

ثم يقول ان ما يميّزها « العاطفة » التي نستطيع ان نلمحها في كل فصل بل في كل فقرة ، « وفي حرصه على هذه الظاهرة لا يفتعل المواقف التي تدعو اليها ، وإنما هي تصدر عنه في طبيعية ساذجة لطيفة قريبة منا متصلة بنا . »

ونحن نخالف الكاتب في ذلك كل المخالفة ، فأن القصة مليئة بالعواطف المفتعلة والاحاسيس المبتسرة التي لا طبع فيها ولا تلقائيـــة ، وانا اكتفي للتدليل على ذلك ببعض عبارات انقلها اتفاقاً من الفصل الاول من القصة .

انها تبدأ بهذه العبارة :

« كانت الطيوف تراوده كما تراود شخصاً ينتظره مجهول مخيف ، ولكنه ما كان يقيم لأحاسيسه هذه وزناً ولا لشعوره اهمية [. . .] وما هذه الطيوف السود التي تراوده ، ما هي الا ظلال لنفسه الكئيبة التي لا تنعم بغير الحزن ولا ترضى بغير الشقاء ، والتي قد يبلغ الامر بها في بعض الاحيـــان ان تخلق الحزن خلقاً وتوقظ الألم الدفين ، لتعيش ساعة في جحيم من الاحساس عنيف . »

ففضلاً عن ان التناقض ظاهر في هذه العبـــارة (إذ يبدأ بالقول انه لا يقيم وزناً لأحاسيسه ومـا يلبث ان يقول إنه لا يعيش إلا في هذه الاحاسيس الحزينة) نجد صورة صحيحة لهذا البطل الذي لا يرضى بغير الشقاء ، ويخلق الحزن خلقاً ليعيش في جحيم من الأحساس عنيف . . . فهو شخص يختلق العواطف اختلاقاً ويصطنعها اصطناعاً ، او يختلقها له المؤلف ويصطنعها وهو ابعد ما يكون عن الطبع . والحق ان القصة كلها قائمة على اصطناع هذا الجو الحزين اللائع لبطل يعيش حياته كلها في شقاء هذه الفاجعة ! إنه جو يثير الاعصاب بابتعاده عن الواقع وامعانه في التصنّع .

ومثل ذلك قول المؤلف بعد ذلك مباشرة :

« فتوقف وهو ينظر الى الكون نظرة غائمة فيها الكثير من العتاب واللوم . ولكنه أحسّ بيد خفية تدفعه الى المضي في الطريق دفعاً ، واستأنف السير وقد ارتسمت على شفتيه تلك الابتسامة الساخرة الحزينة التي ترسم على شفتيه كلما وجـــد انه أضعف من ان يقاوم أو يدفع ما يريد ان يحدث أو يقـــع ، ترتسم على شفتيه لتسخر منه بمرارة . وقد كان يغالـــط نفسه احياناً ويحسب انه هو الذي يضعها على شفتيه سخرية من هذا الكون واستهزاء بهذا العالم الذي يتصدى لمحاربة انسان ضعيف لا يقوى على مجابهته ، كما يفعل معه . »

فليحلّل القارىء هذه العبارة يجدها مضطربة متهافتـة لا يعرف صاحبها ماذا يريد ان يقول .

على ان الضعف في التأليف القصصي يبدو فاضحاً في ان المؤلف إنما يبرز البطل في هذه الصورة من الأسى والقلـــق واليأس من الحياة قبل ان يعـــلم شيئاً من امر خطبة حبيبته لسواه . فهو قد دخل على عمته وزوجها فألفاهما محتارين يخفيان امراً : « ما هو هذا الامر ؟ لا يدري ، وأنّى لأحد ان يدرك السر الذي تنطوي عليه نفس الغير ؟ وحتى إذا ادركه فانه لا يستطيع ان يبلغ جوهره ! »

وإذن فهو لا يعلم شيئاً . وحين طلبت اليه عمتـه ان يبقى ريثما تعود « اناهيد » «اذعن لها لا يجيب رغبتها (؟) ولكنه ودّ في أعماقه ان يرى اناهيد ثانية ويتزوّد منها بنظرة تكون زاده في وحدته لمـدة طويلة ، فجلس والقلق يرتسم في محياه [. . .] وحين خرج احسّ في قرارة نفسه انه يودعهم الى الابد ! »

كل هذا قد حصل قبل ان يفهم ان اناهيد قد خطبت ! فهل هذا طبيعي ، وهل في هذا اي اثر من منطق ؟

ليس هذا الذي قدمت الا نموذجـــاً صغيراً للتناقض والاضطراب والتشويش والخلط الذي تتكشف عنه القصة في مواقف الابطـال . ويخيّل إليّ ان المؤلف يكتب كما يجري بيده القلم ، من غير ان يتوخى الدقة ولا المنطق ولا الحياة في مجراها الطبيعي . . وإلاّ أفكان يقول مثل هذا :

« ولم يشأ نهاد ان يقول شيئاً ، فقد استطاع ان يدرك ان زوج عمته يتعذّب كثيراً ويتعذّب بشكل فظيع ، ولا يدري هل فرح لهـــذا ام حزن ، ولكنه احسّ في نفسه انه يرثي له ويشفق عليه اكثر من اي شيء آخر ، فهو ليس من هؤلاء الذين يفرحون اذا وجدوا انساناً في غمرة الألم . . . »

ـ ويقول بعد صفحات « ولقد كان يسعد حين يرى ان الذين قوضوا حياته يتألمون ويتعذّبون . »

إن هذا التناقض والاضطراب يكفيان وحدهما للتدليل على انهيار الحسّ الفني لدى المؤلف ، فكيف اذا خلت قصتـه من اي عنصر حقيقي من عناصر القصة الفنّية ؟ إن « اناهيد » خالية من التحليل النفسي العميق ، وحوارها على غـــاية الضعف ،

والآراء التي يوردها المؤلف فجّة آخذة بحظ كبير من السخف (انظر مثلاً قصة انقطاع الخيط (ص ٣٥) وفلسفة الدودة ص ٤١ وفلسفة شرب الخمر الخ ...) وليس في تأليفها اية صناعة تكنيكية ، وليس فيها اي اثرٍ من آثار الجمالية ، فضلاً عن ان الاخطاء النحوية فيها غير قليلة ، ولست اقول « المطبعية » .

والمؤلف بعد ذلك يعجز عجزاً فاضحاً عن خلق « جوٍّ » او عالم متميز واضح الابعاد والخطوط ؛ وشخصياته دُميٌ لا حياة فيها ولا نبض ، سواء نهاد الذي لا يفعل الا ان يسيل الدموع ويبكي في كل مناسبة (اي رجل !!) او اناهيد التي لا شخصية لها في القصة تتركّز على صفات معينة او مشاعر واضحة ، وهي مع ذلك البطلة !

★

وبعد ، فلا بدّ لي من ان اعتذر للقاريء الكريم على هذا البحث المملّ بطوله ، وعلى اني هدرت هذه الصفحات في الحديث عن كتاب لا يستحق اكثر من اشارة عابرة ، للتاريخ . ولكني احسب مع ذلك ان الامر لا يخلو من فائدة . فقد حاولت في هذا النقد ان القي ضوءاً جديداً على مفهومنا للقصة ومدى رسالتها في حياتنا ، كما حاولت ان ادلل على ان الصداقات كثيراً ماتجني على الادب وأهله . واعتقد أنّ على من لا يستطيع ان يتجرّد من عواطفه الا يدخل ميدان النقد ، فهو يتجنى على التاريخ الادبي ، ويجني على المنقود إذ يزيّن له انه بلغ مصاف غوركي ودستويفسكي وتشيخوف ، فيما هو لا يستحق ان يُلحق بذيل الصف الأخير من الكتّاب القصصيين في العالم العربي ، وهم لا يزالون من ركب القصة العالمية في اول الطريق !

سهيل ادريس

من الجراب

تأليف مارون عبود

دار الثقافة ببيروت — ١٩٠ ص

لمارون عبود شخصية ذات الوان ممتازة تثير في السامع شعوراً خاصاً ، لاهو تشاؤم الفاشل المفلس ، ولاهو تفاؤل الناجح الثائر ، ففيه من تفاؤل المتفائلين ابتسامة عريضة واثقة بنفسها معبرة عن عميق ادراكها لعظمة الحياة وتذوقها لجمالها ، وفيه سخرية المتشائم ترتسم رجفات خفيفة تقلل من اشراقة ابتسامته الواثقة ووضوحها وصفائها . ومن خلال هذه السخرية يقرأ الناظر سطوراً تعلن : ان كل ما في الحياة باطل الاباطيل وكل شيء باطل . في الابتسامة المشرقة شباب متوثب وفي رجفة الشفتين مرارة الكهولة المقبلة على النهاية .

فمارون يحب الحياة ويأمل واثقاً في تحسن اوضاعها وارتفاع قيمتها وجمال معانيها ، ولكن مارون في الوقت نفسه يشفق على الناس من خطورة مسؤوليتها . فالحياة الحرة السليمة حبيبة الى قلبه ، ممكنة التحقيق ولكن الحرية شيء خطير ومؤلم لأنها تفرض على صاحبها من المسؤوليات ما لا تطيقه الا القلة القليلة والندرة النادرة ممن عصمهم الله وبارك عليهم من عليائه

والحياة في نظر مارون ليست شيئاً نصطنعه ولا ثوباً نلبسه ونتنفش به او (نتطوس) بأزيائه ، ولكنها غمرة من الشعور والفكر والقلق الدائم والثقة بالنفس والانطلاق نحو المجهول اللانهائي .

وهو يعبر عن ادراكه للحياة هذا النوع من الأدراك بكل وسيلة تتهيأ له ، باسلوبه المرن الواقعي والفاظه الحية المتموجة مع مد التاريخ وجزره ، وملاحظاته التي يتناول بها مشاكل المجتمع بالنقد الرائع الدقيق فيحز دون ان يؤلم ويجرح دون ان يزعج . يكشف عن موضع الداء والابتسامة مشرقة في وجهه فتنتقل بالعدوى الى وجه المريض وتنشر اشراقها عليه ، فهو يجتث العضو الفاسد ويحتفظ في الوقت نفسه بصداقة المريض المشفي على الهلاك .

ومارون الى جانب ذلك ذو لون محلي حي يستعرض لنا به حياته اللبنانية في الجبل وبيروت أيام الاتراك العثمانيين والفرنسيين المنتدبين والعهد الاستقلالي الحديث . فانت تحس حين تقرأه أنه يعيش حزبيات لبنان ويتحد بها اتحاداً وثيقاً ويراقب احداث بيروت مراقبة المشارك لا الملاحظ المحايد الموضوعي ، وهو بذلك يثبت ان النقد عمل ذاتي في قبل ان يكون عملاً موضوعياً محايداً . لقد تعرف على بساطة سكان الجبل ومشكلاتهم الصغيرة واكتشف عفن الحكم في بيروت وخفاياه المخجلة . فيعرض علينا هذه وتلك بكل ما فيها من بشاعة وقبح ولكنه مع ذلك لا ينمي في نفسك روح اليأس ولا يثير بها كوامن البغض . يساعدك على تشخيص المرض ويمنحك الثقة في شفائه . فلا تدري في اي مذهب من المذاهب يمكنك ان تسلك طريقة هذا الكاتب ولا الى اية مدرسة تنسبه واذابك بعد الحيرة الشديدة تكتفي بان تقول : ان من الخير الا اسلكه

في مذهب من المذاهب ولا انسبه الى مدرسة من المدارس بل اعتبره نسيجاً وحده . يدركه من قرأه ويلذه من عاشره .

كل هذه الخواطر والأحلام تراود قارىء كتابه (من الجراب) تغزوه رفيقة تارة وتمسح عن قلبه الكدر تارة أخرى. فهو يبتسم ويأسى ويتعزى وهو في ابتسامه وتعزيه وحزنه سعيد لأنه يكتشف بها حقائق حية يعيشها ويستمد منها معنى وجوده وحقيقة قيمه .

(فجراب) مارون جراب حي ، فلا هو (عيبة) تاجر ولا حقيبة وزير ولا محفظة مدير وأنما مجموعة تجارب . إنه أنسان . وهل أروع من ان يقع القارىء على قصة أنسان ممتاز من خلال جراب تتدفق محتوياته بكل ما هش ونش وأثار وأغار وأحمى وبرّد وأبكى واضحك وكشف وغطى وثقل وخف وعاش ومات ومرض وصح من صور المجتمع وبضاعة الناس ؟

لقد جعل من اهداء الكتاب عنواناً يدل عليه . فهو يهديه الى احد تلامذته، وتلميذ المعلم منذ طفولته حتى نضجه في كهولته سجل يقرأ فيه المعلم سطور الحياة بكل الوانها ، فكأن الكاتب يريد ان يقول لنا : هذا كتاب سجلت فيه سطور حياة خطتها لي أناملي ورعاها لي قلبي فهي حبيبة الي بكل ما فيها من جمال وقبح وخير وشر وبناء وزوال لأنها ملك يــدي وهديتي الى المستقبل . وليس من اهدى اليه مارون كتابه الا تلميذه الذي يقدمه هدية الى المستقبل بعد ان صنعها بكلتا يديه اوخيل اليه انها صنع يده، فالمهم هو صدقه في الشعور بصدور الهدية عنه.

في هذا الكتاب غمزات سياسية ولفتات حكمية وخواطر اجتماعية وفلتات فلسفية . يعجز القارىء عن ترتيب موضوعاته لأنها وضعت في غير نسق فرضها مرور الأيام وأثارتها أحداث الزمن . فهو يقفز من الحديث عن حادثـــة ضرب الصحفي — رياض طه — ويستخرج منها العبرة الى الحديث عن الوجدان العـام الذي هو درس في الأخلاق فيه طابع الشمول والجدية ورصانة المعلم . وهو يقفز من الطائفية وامراضهـا الى مشاكل القرية وذيولهـا وهو يرتفع من المحليات في (حول البكالوريا ، ويسألونك عن القرية ، في المطار ، اوتوماتيك) الى فصل (من أمين الريحاني الى كميل شمعون) واخيراً يذيل جرابه بالحديث عن موضوع اهدائه — اميل البستاني — ليعطي من خلال هذا الفصل صورة مختصرة واقعية لحياة بدأت فكرة مجهولة ثم تحولت ملء السمع والبصر لأنها استمدت من نفسها « ارادة حديدية ،

عدد القصة القادم

كتاب ثمين

يحتاج اليه كل مثقف

وعبقرية فذة، وطلعة ميمونة . »

ويقيني ان مثل هذا الكتاب لا يقرأ مرة واحدة فهو معين يستمد القارىء منـه في كل جولة حافزاً جديداً لادراك اعمق واحساس أعنف .

ومأخذي على الكتاب يتناول اسلوبه ومعناه. اما الأسلوب فهو وان اشتمل على واقعية تقابل القارىء حيث اتجه وتعرض عليه الفاظاً يستعملها الجبلي بصورة خاصة ، وقد يتناولها ساكن المدن بصورة عامة ، الا أنه يفرض على من يتناول هذا الكتاب ان يكون متذوقاً لامثال الجبل العامية وأصالة تعبيره. فهو من ناحية مصدر قوة لأنه صورة صادقة عن الواقع وهو من ناحية أخرى مصدر ضعف لأنه ذو لون محلي يكاد ينطوي على نفسه . هذا مع اعترافي ان مارون قد حاول الارتقاع بالعامية فكاد يجعلها صحيحة. ونزل بالفصحى حتى كاد يصيبها رشاش الابتذال. واما المعنى فقد شعرت ان الرتابة في بعض فصوله تكاد تتغلب على التنوع المفروض في المادة الفنية ولا سيما حين يتحدث عن مشاكل النواب والحكم والموظفين . وهو عيب يكاد لا يبين بالنسبة لجودة الموضوعات وجمال العرض . وقد يعذر الكاتب على ذلك فهو يكتب في جريدة اسبوعية والجريدة في حاجـة الى مادة تملأ صفحاتها وتكرار يرسخ مذهبها، وليس المفروض في الكاتب ان يقدم للجريدة موضوعاً للنشر بصورة دورية فهـذا لا يتفق مع بادرة الفكر وأصالة الشعور .

والئن اشرت الى هذه الرتابة فلكي لا يكون نقدي للكتاب تقريظاً او تحليلاً فقط .

والخلاصة ان « جراب » مارون جدير ان يزين مكتبـة الشاب والكهل . اما الشاب فللعبرة والعظـــة ، واما الكهل فللمشاركة في الشعور مع صاحب الكتاب والتعاون معـه على استجلاء خفايا الماضي ومواضع الجمال والقبح منه .

رمضان لاوند

« في معترك الحياة »

لمكسيم جوركي – ترجمة سعد توفيق وفؤاد سعودي

•

كنتُ اودّ ان تكون كتابتي الآن تحبيذاً وثناء :تحبيذاً لفكرة نقل الروائع العالمية لأغناء اللغة العربية بها ؛ وثناءً على جهود الذين يقومون بهذا العمل الجبار الجليل . الا انني – مع شديد الأسف – أكتب الآن بكثير من الألم والامتعاض والخيبة للجهد الذي قـــام به السيدان (سعد توفيق وفؤاد سعودي) لترجمة كتاب (في معترك الحياة) للاديب الروسي – بل العالمي – العظيم مكسيم جوركي ؛ وقد نشرته لهما « دار النشر المصرية » في القاهرة .

وليس من شك في ان الترجمة إنما هي لقاح من لغة الى لغة اخرى، وبقدر ما يكون في هذا اللقاح من مادة الحياة، يكون حظ اللغة التي تلقح به من الخصب والانتعاش . ومثل مؤلفات مكسيم جوركي وامثاله من ادباء العالم العظام ، ليس اجدر منه بأن يكون لقاحاً للغتنا العربية ، التي تفتقر الى الروائع العالمية. ولذلك رأيتني ابارك جهود اولئك الذين يُقدمون على ترجمتها لتلقيح لغتنا العزيزة بها ، على شرط ان يكونوا ممن يعرفون لغتهم معرفة صحيحة ، والا فلا قيمة لعملهم ، بل على العكس يكون عملهم فشلاً للغتهم ، ووسيلة لقتلها بدلاً من إغنائها ، كما إن عملهم هذا انما يجني على الآثار العظيمة التي يحاولون نقلهـــا الى العربية .

وهذا هو عين ما وقع في ترجمة كتاب (في معترك الحياة) لمكسيم جوركي . فقـد برهن المترجمان قبل كل شيء على انهما يجهلان لغتهما جهلاً فاضحاً : يجهلان قواعدها ، وإملاءهـــا ، وتعابيرها . وقد زادت المطبعة في شناعة العمل الذي قدّماه ، بكثرة ما اشاعت فيه من اخطاء أضاعت على القارىء معـاني فقرات بأكملها ، وربما صفحات بأكملها ايضاً . ومعنى هذا ان المترجمين والناشر والمطبعة قد عقدوا حلفاً لتشويه عمل الكاتب الروسي العظيم ، ولاشاعة الضعف والفوضى في اللغة العربيـة . فما اسخفها خدمة أدّوها للأدب عامة ، وللغة العربية !!.

ومن العبث ان اتولى ضرب الامثال ، فهي اكثر بكثير جداً من ان احصيها ، إنها تؤلف الكتاب كله . ولكنني أودّ ان اشير الى نماذج من هذه الأخطاء المتنوعة .

فمن ذلك مثلاً تأنيث (الرأس ، والأنف ، والبطن)، وقد وردت هذه الالفاظ مؤنثة مرات عديدة (كالرأس الكبيرة ، والبطن الهائلة) وما اليهـــا ... وكذلك وصف العينين (بالسوداوتين ؛ او الخضراوتين ، او السوداويتين) . وهـذا ايضاً تكرر في الكتاب عشرات المرات . ومثل هـذا ايضاً الاخطاء اللغوية الفاضحة التي تدل على جهل تام بقواعد العربية ، كاستعمال التنوين للصفات الممنوعة من الصرف. مثل (ابيضاً، ازرقاً ، اصفراً ، اسوداً) ، او الخلط بين ضمير الجمع للمؤنث والمذكر كما في الفقرة التالية التي نسوقها كنموذج واحـد من عشرات النماذج الاخرى ، وهي في الصفحة ١١٩ : حيث يتحدث الكاتب عن نساء كاسكا اللواتي ينقلن الخشب الى السفينة ،فيقول المترجمان :«وكان البحارة إذ يرونهم يندفعون نحوهن ويمسكنهم من سيقانهن او صدورهن ، فتصرخ النساء وتبصق عليهم... »

وليس هـذا فقط ، فالكتاب مشحون بالاخطاء النحوية المتنوعة بشكل لا يتصوره العقل ، من مثل : (وعينـــاه الرماديتين تنظران اليّ ...) او (ايتها الدجاجتين البريتين) ومئات اخرى من امثالها ، وهي اخطاء لا يقع في مثلها طلاب المدارس الابتدائية .

وكنماذج من الاخطاء الاملائية اسوق ثلاثة الفاظ فقط ، مما اقتطفته على عجل من الصفحات الاخيرة ، وهي (مأخرة) – بدلاً من مؤخرة ص ١٠٦ . (هادءاً) – بدلاً من(هادئاً) ص ١١٠ . (أسوء) – بدلاً من (أسوأ) ص ١١٨) .

وهناك نوع من الضعف والركاكة في الترجمة ،وهو استعمال العبارات المصرية العامية ، لجهل المترجمين بما يقابلها في الفصحى. من ذلك مثلاً كثر تكرار لفظة (كدَه !) او قولهما في الصفحة ٣٩ : (واخذت تحملق فيهما ... وهي تصيح بهما : « سيبوا بعض ») أو في الصفحة ١٢٤ : (قال الجندي : معلش ، سوف اقتل الولد) ، او في الصفحة ١٥٨ (كان بدري عليك) ، وفي الصفحة ١١٨ : كانوا آخذينك الى تلك المخلوقة ؟) وهكذا .

وبعد فلقد ذكرتني هذه الترجمة السقيمة المخجلة التي قدّمهـا السيدان سعد توفيق وفؤاد السعودي لرائعة مكسيم جوركي ، بشريط سينمائي مصري انتجه الممثل يحيى شاهين ، وقام فيـه بدور البطولة مع الممثلة كوكا ، وعنوان الشريط (ليـــلى العامرية) . وقد كان من السخف وقلة الذوق في هذا الشريط أن أشعار قيس الحلوة العذبة التي تغنّت بها الاجيال من عهـد قيس الى اليوم ، قد تبدّلت في هذا الفيلم لأنهـــا « تُرجمت »

بكل قلة ذوق الى « زجل » مصري من عمـــل الزجال بيرم التونسي . وليتأمـل القارىء المثقف كيف يصبح شعر قيس العربي الجميل ، حينما يترجمه بيرم التونسي الى « زجل » مصري سقيم ؟! ثم يلقيه يحيى شاهين بهذه اللغة الجديدة الشوهاء !!

ألا مسكين قيس في شريط (ليلى العامرية) بين زجل بيرم التونسي والقاء يحيى شـاهين ، ومسكين مكسيم غوركي (في معترك الحياة) بين سعد توفيق وفؤاد سعودي ، والمطبعة التي طبعت ترجمتها !

عمان **عيسى الناعوري**

١ — الانسان ذلك المجهول

تأليف الكسيس كاريل — ترجمة شفيق اسعد فريد

مكتبة المعارف ببيروت — ٣٧٦ص

احسنت مكتبة المعارف بنقل هذا الكتاب الى العربيـه لتفيد قراءها بتجارب طبيب عالم قضى في معاهـد البحوث — منقطعاً اليها — ما يقرب من ثلاثين عاماً ، ومضى يبحث وراء المجهول من المعرفة عن الانسان حتى استطاع ان يكشفه ويضعه واضحاً مبسوطاً أمام عيون القراء ويعرّفهم بالانسان تعريفـاً أفضل ، وقد تناول المؤلف في كتابـه جسم الانسان ووجوه نشاطه ووظائفه بقلم علميّ عبقري العرض والتفصيل حتى ليكاد يعدّ الكتاب الأول في نوعه والمغني عن غيره ، ولم يدع المؤلف مباحثه دون ان يقترح اعادة صياغة الانسان باعـــادة إنشاء الاطار الاجتماعي والمنظر الخلقي لحياة الناس المادية والعقلية ، ويرسم الطريق في مهارة العالم المدقق إلى إعادة الذكاء والاحساس الادبي الحي للانسان وسط الآلات والاخلاق الصناعية التي لا مفر منها للحضارة .

ومؤلف الكتاب حين يتعرض لمسألة علمية دقيقة يمتاز بقوة الفهم وقوة التعبير وكلتاهما لا غنى عنها في نقل العلم الحق للناس ، ولم أجد وأنا أقرأ له اعمق الافكار إلا لذة وشوقاً إلى المتابعة ، حتى إنني لم أشأ ان ادع الكتاب — على ضخامتـه — دون ان أتم قراءته .

ولست أنسى حق المترجم القدير الذي استطاع قبلنا ، نحن القراء ، ان يفهم وان يعبر بعربية سليمة فصحى وكان له الفضل كله في إطلاعنا على هذه التحفة الغالية في التراث الفرنسي .

٢ . أسره أرتامونوف

تأليف مكسيم غوركي — ترجمة منير البعلبكي

دار العلم للملايين — ٣٢٤ ص

هذا الكتاب جزء من شطرين من رواية اجتماعيـة تعرّف بالحياة في روسيا وكيف تطورت وتطورت فيها الاسرة والأمة من الجد الى الحفيد . اما هذا الجزء فيتنـــاول اولى حلقتي الرواية وفيه تجد اول ادوار الانقلاب . ولكني حين انظر اليه من الناحية الادبية — وهي الامر الذي أعنى به — اجد متعة وترفاً . اجدهما اولاً في افكار المؤلف ، واجدهما ثانية في تعبيرات

الآداب

الى المشتركين

تنتهي سنة « الآداب » الاولى بهذا العدد . فعـلى من يود الاشتراك أو تجديده إبلاغ الادارة بذلك لتواصـــل إرسال الاعداد إلى عنوانه البريدي .

ولا تزال قيمة الاشتراك السنوي كما هي :

في سورية ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : جنيه استرليني ونصف او خمسة دولارات

في الولايات المتحدة : عشرة دولارات

في الارجنتين : مئة ريال

اما مجموعة السنة الاولى ، فتوجد منها كمية محدودة ، يمكن الحصول عليها من الادارة بالثمن التالي :

مجلدة ٢٥ ليرة

دون تجليد ٢٠ ليرة

حكاية من النكبة

إلى اختي

أهي رصاصات قلم ؟ . .
ام قطرات من دم . .
ابعثها اليك .. في مكانك الامين
هناك على سفح الكرمل الاخضر .
أتذكرينه .. يحتضننا فنشعر بالامان . . ؟
والصنوبر الاخضر بين جنباته .. ألا تذكرين ؟
كانت هادئة في ذلك اليوم من ايام الربيع
يومها جلستُ ارقب المكان بحذر
وهواء الفجر البارد يلفح وجهي
وفجأة هجم الانذال . .
اخذتُ البندقية البالية . . وأطلقت الرصاص القليل
واخذوا يقتربون . . فاقتربتِ مني جزعة . . .
اقفلنا البيت واخذنا نجري بعد ان يئسنا من المقاومة
وبعد قليل سمعت صرختك
والتفتُ الى جسدك الدامي !
فرأيت في عينيك دمعة كبيرة
دمعة إيمان ورثاء . . .
رثاء . . للوطن الذي اغتُصب
وايمان بالبقية الباقية من الشباب
« لا تنسَ ان تسرع في العودة » كانت آخر كلماتك . .
ولم أبكِ يومئذٍ فلم يكن هناك وقت للبكاء . .
ولكني . . سأعود
سأعود . . لأروي تربة قبرك بدمائي
سأعود . . غازياً منتصراً لا عبداً ذليلا
سأعود . . مع « البقية الباقية »
واذا لم يبق احد منهم
فسأعود . . وحدي
لأعيش معك . . مع الأحياء في القبور ! !

سمير صنبر

الاستاذ البعلبكي السخية ، والتي يجد فيها المؤلف منفذه الى لغتنا وهما يقولان معاً حين يصفان الربيع القديم ، واقبل الربيع بارداً رطباً . لقد غطى المتن الحدائق ورقش حديد الغـــابات المطروق . وهبت على المنطقة ريح رطبة ملقية بالنشارة الشاحبة المدوسة بالاقدام الى النهر وكل صباح كانت العربات التي تجرها خيول كثة الشعر تصعد الى مخزن البضاعة . . .

وقد أضيف الى هذا الكتاب تعبير آخر يزيده وضوحاً وكان ذلك بصور المناظر التي تمثل الحياة يومذاك قبل الانقلاب من الجد الى الابن الى الحفيد ، وغداً في الجزء الثاني سنرى تمام الرواية فنحصل على تمام الكنز الذي حفره مكسيم غوركي ونقله الينا ميسوراً منير البعلبكي .

٣ . الموشحات

للدكتور جميل سلطان

مطبعة الترقي بدمشق ـ ٩٢ صفحة

يشمل هذا الكتاب درساً مبسوطاً في فن التوشيح وأوزانه وخصائصـــه ورجاله ، ولكنـــه يمتاز أكثر من ذلك بالبحث الفني الدقيق عن كيان التوشيح وصلته بالغناء وطريقة نظمه بمراعاة هذه الصلة وقد جعلت هذه الدقة للكتاب قدره مع صغره وقلة سطوره .

وتبدو جـــدة البحث حين يشرح المؤلف اسباب اللحن والعجمة الرديئة التي اصابت شعر الموشحات بالأندلس ويستند الى الأدلة من تأثـــير العامية الاسبانية في الاوزان العربية وتحريرها من القوافي ، ويتخذ من شعر الطروبادور المثال الحي لهذا التأثير

ولم ينس المؤلف ان يتكلم عن تأثير هذا الفن في البـلدان المجاورة والعصور التالية ثم ختم كتابه بالتأريخ القصير لجهرة من عباقرة التوشيح بالاندلس .

أما بيـان المؤلف وقدرته على الشرح والبحث فشيء غني عن البيان

عبد العزيز سيد الأهل